هوامش

تخطط مجموعة من الكتّاب والفنانين والمثقفين من بلدان عدة، يقودها مركز ثقافي في العاصمة الفرنسية باريس، إلى تصنيف كرم الضيافة في اليونسكو، باعتباره من التراث الثقافي غير المادي

نشاط سابق للمشروع في روما (PEROU)

سخاء بلا مقابل

الضيافة باعتبارها تراثاً ثقافياً غير مادي للإنسانية

باريس ـ **محمود الحاج**

«يبلغ ميكايل ب. من العمر 55 عاماً، وهو عاطل عن العمل، يقيم في ضواحي مدينة نانت، ولديه معرفة جيدة بالبَسْتَنة وبعلم النباتات. يقضي جزءاً من نهاره في قطف الخضار والنباتات البرّيّة الصالحة للأكل من الريف المحيط بمكان سكنه. ويعدّ من قطافه حساءً كل مساء تقريباً، يحمله إلى مجموعة من اللاجئين الذين يعيشون على بعد 5 محطات باص من بيته. يوم 11 آذار، كان الحساء الذي أعدّه يتألف من الجزر ومن الجزر الأبيض والسبانخ النيوزيلاندي. قام ميكايل ب. بإضافة القشدة الطازجة والبقدونس إلى الطبق قبل وضعه في وعاء خزفي مغلق بإحكام وحمله في عربة صغيرة. كانت الساعة السابعة والنصف مساءً عندما غادر منزله».

«تبلغ ميلين ت. من العمر 81 عاماً، وهي متقاعدة تقيم في كاليه. تتفحّص خط الإنترنت الخاص بها لتتأكد أنّه يعمل جيداً قبل الذهاب إلى النوم. منذ سنة كاملة، يتجمع مهاجرون كل مساء أمام منزلها من أجل استخدام خط الإنترنت الذي تتركه طوعاً بلا كلمة سرّ».

ينتمي هذان المقتطفان إلى أرشيف مكتوب خاصّ بأفعال الضيافة، لا سيما ضيافة الغرباء واللاجئين والمهاجرين، يعدّه «مركز استكشاف الموارد الحضرية (PEROU)» في باريس، بالتعاون مع شبكة من الناشطين والكتّاب والفنانين الذين ينتمون إلى بلدان متوسطية بشكل أساسي. يضمّ هذا النصّ الأرشيفي، الذي يحمل اسم «في جميع الأنحاء. عمل مشترك» شهادات تروي تجارب ضيافة رأت النور في السنوات القليلة الماضية، حول ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وفي أماكن أخرى من المعمورة. والأرشيف المكتوب يشكّل، إلى جانب فيلم قصير ومجموعة من الصور، الحجر الأساس لمشروع طلب، فريد في نوعه، يقدّمه المركز إلى منظمة الأمم المتحدة للعلم والثقافة (يونسكو)، وهو طلب بالاعتراف بفعل الضيافة باعتباره تراثاً ثقافياً غير مادي للإنسانية. هو طلب فريد في نوعه، لأنّ قائمة التراث الثقافي غير المادي لليونسكو تضم عادةً تقاليد وطقوساً تراثية تخصّ ثقافة أو مجتمعاً بعينه، لكنّها لا تحفل بممارسات تتقاطع فيها السياسة بالأخلاق، ويُنظر إليها بوصفها مشتركاً إنسانياً أكثر مما تعتبر تقليداً محلياً. وهو أيضاً طلب خاص في نوعه، لأنّ «الجهات التي تتقدم بطلب كهذا عادةً ما تكون دولاً» كما يوضح لـ«العربي الجديد» سيباستيان تييري، وهو أحد مؤسّسي المركز ومنسّق نشاطاته.

يضيف تييري: «الضيافة كنز إنسانيّ مشترك يهدّد العنف الذي يحكم عالمنا وجوده. يهدف مشروعنا إلى التأكيد على حاجتنا الماسة، جميعاً، لأفعال الضيافة التي ترى النور هنا وهناك، وعلى دورها في تأسيس اجتماع إنساني أكثر رحابة. لهذا، قررنا التقدم بطلب إلى اليونسكو للحصول على حماية لأفعال ولفتات الضيافة، براً وبحراً، ولتوسيعها وتكثيفها والإعلاء من شأنها». يتابع: «بدأنا بتعبئة النموذج الخاص بالتسجيل في قائمة الحماية العاجلة، ووفرنا تقريباً كلّ الشروط والوثائق المطلوبة، مثل التعريف بالغرض المراد تسجيله، وأسباب تسجيله في قائمة الحماية العاجلة، بالإضافة إلى أرشيف مشترك مكتوب، وأرشيف مصوّر وآخر سينمائي، من شأنها توثيق أفعال الضيافة التي تحدث على طرقات الهجرة، وتسليط الضوء على الأفراد والجماعات المعنية بالمشروع». ويتابع تييري: «سنتقدم بالملف إلى اليونسكو في ربيع العام المقبل 2021، وسيرافق ذلك عرضٌ للمشروع ومؤتمر في مقر المنظمة في باريس».

يتضمن الملف المقدّم مقترحاً بخطة لحماية الضيافة، تطلبه اليونسكو في طلب كهذا.

باختصار

قائمة التراث الثقافي غير المادي لليونسكو تضم عادةً تقاليد وطقوساً تراثية تخصّ ثقافة أو مجتمعاً بعينه

■■■

المشروع يهدف إلى التأكيد على حاجتنا الماسة، جميعاً، لأفعال الضيافة التي ترى النور هنا وهناك، وعلى دورها في تأسيس اجتماع إنساني أكثر رحابة

■■■

سيقدّم الملف إلى اليونسكو في ربيع 2021، وسيرافق ذلك عرضٌ للمشروع ومؤتمر في مقر المنظمة في باريس

ويقول تييري: «تشتمل الخطة على جانبين: برّي وبحري. نقترح أولاً إقامة مجمع سكني كبير للضيافة، مضاد، في مفهومه وطريقة عمله، لمراكز استقبال المهاجرين المعروفة. أما بحراً، فقد تقدمنا بطلب إلى الفنان الياباني شيغيرو بان، الذي يتكفل بتصميم باخرة ستُعرَض، أولاً، في مركز جورج بومبيدو في مدينة ميتز (شرق فرنسا)، باعتبارها امتداداً بحرياً له، قبل أن يجري منحها لجمعية إس أو إس ميديتيرانيه، التي تنفذ منذ عدة سنوات، عمليات إنقاذ لمهاجرين في البحر الأبيض المتوسط. ويضاف إلى هذين المقترحين قيامُ الجمعية، بالتعاون مع أفراد وجمعيات في إيطاليا، بتحويل مبنى سبن تايم في روما، الذي يقيم فيه مهاجرون، إلى متحف لأفعال الضيافة، يستضيف الأرشيف المصوّر للمشروع».

وإذا كانت «غاية المشروع عملية وسياسية» كما يقول تييري، فإنّ الفن والأدب والعمارة ليست بتفاصيل فيه، بل نقطة انطلاقه. يشهد على هذا الأرشيف المكتوب، الذي يبدو أقرب إلى نص أدبي مؤلف من قطع صغيرة منه إلى مجموعة شهادات لناشطين، كما يشهد على ذلك مشروع الباخرة، الذي يجمع الفن المعاصر إلى العمارة، والذي يقوم به فنان ياباني عُرف بتصاميمه وتنفيذه لمشاريع عاجلة لاحتضان مهاجرين وناجين من كوارث طبيعية. كما أن التقدم بالطلب إلى اليونسكو، بحدّ ذاته، هو المشروع الفني الذي يعمل على إنجازه سيباستيان تييري: «نريد، من خلال هذا الطلب، استخدام الفن للتأثير سياسياً واجتماعياً. يتطلب هذا ليّ عنق الفنّ بعض الشيء، والنظرَ إلى العمل الفني بوصفه شكلاً من أشكال الفعل».

وأخيراً

الشعر والتطبيع... «ما ينقضي زلزالها»

سعدية مفرح

سعدتُ بدعوة كيان شبابي خليجي ناشئ بعنوان «ائتلاف الخليج ضد التطبيع» للحديث، ضمن مجموعة من الناشطين في مقاومة التطبيع مع الصهاينة، عن دور الشعر في نصرة القضية الفلسطينية، عبر ندوةٍ نظّمها «الائتلاف» في منصّة يوتيوب، أول من أمس. وعلى الرغم من أن الحديث في هذا السياق مكرّر، إلا أنه يبقى مهما دائما في وقتٍ يستغل فيه دعاة التطبيع كل المنصّات المتاحة لترويج دعاواهم، ما يجعل مثل هذه المبادرات الشبابية تحديدا فعل مقاومة مطلوب دائما في إطار تعزيز الوعي بأهمية مقاومة التطبيع العربي مع الكيان الصهيوني بكافة أشكاله وفي كل زمان ومكان، ومواجهة دعاوى التثبيط، المباشرة منها وغير المباشرة، والتي لا يمكن قبولها على نحو بريء أبدا، حتى وإن بدا كذلك أحيانا! وبما أن السؤال كان سؤال الشعر وفلسطين في منطقة الخليج العربي، كان لا بد لي من الإشارة إلى أن فلسطين تحوّلت من اسم وطن محتل إلى أن أن تكون رمزا لكل الأوطان المحتلة، ولكل الحقوق المسلوبة ولكل قضايا الحق. وربما لهذا هي مغرية جدا، اسما ووطنا وحقيقة وقضية لأي شاعر، كي يتخذ منها موضوعا لقصيدته. والشعراء العرب كلهم تقريبا، ومنذ احتلال فلسطين، بل قبل الاحتلال بعقود، وضعوا فلسطين في قلب قصائدهم .. واتخذوها أيقونة شعرية لا تقاوم. وفي التحضير للندوة، لاحظت أن شعراء الكويت ربما كانوا الأسبق من بين شعراء المنطقة في الالتفات إلى فلسطين قضية، بوضوح وجرأة ووعي أيضا، حيث بدأ الاهتمام بتلك القضية حتى قبل النكبة في العام 1948.

والشواهد كثيرة جدا في ديوان الشعر العربي في الكويت، منها مثلا، ما قاله الشاعر خالد الفرج، في قصيدته عن وعد بلفور في العام 1929، ومنها:

«ما العيدُ عيد الساذجين إذا مضى عامٌ يعود/ يغْتَرُّ فيه البائس المسكين والطفلُ الوليد

ويَبَشُّ فيه ذو الحدادِ ودمعُهُ فوق الخدود/ فَرِحاً يجدِّدُ ثوْبهُ وثيابُهُ بالأَمس سود

لكنما عيد السياسة أَنْ تفوز بما تريد/ هذي فلسطينُ الوديعةُ في مصائبها تميد

ما ينقضي زلزالُهَا حتى تُزَلزَلَ من جديد»

والقصيدة طويلة يختمها الشاعر برؤية نقدية واعية ومبكرة للحال العربية، وفي انتقاد مباشر وجريء للأنظمة آنذاك:

«يا قومُ قد طلع النهار وأَنتُمُ فيه رقود/ قد بعتم الوطنَ المقدس للأَعادي بالزهيد

مَدُّوا لكم صنَّارةً هذا يصاد وذا يصيد/ فيها المناصب والمراتب والرواتبُ والنقود

تتطاحنونَ على السفاسف بين ضدكم اللدود/ وإذا يقال هل امتلأْتمْ قُلتُمُ هل من مزيد».

وهذه الأبيات للشاعر فهد العسكر عن فلسطين بمناسبة قدوم البعثة التعليمية الفلسطينية إلى الكويت في العام 1936:

> أهمية توثيق التاريخ الشعري، بل الثقافي عموماً للقضية في وجدان الشعوب العربية، وخصوصاً الخليجية

بالله يا رُسُل الثقافة خبِّرونا/ كيف حال الأخت يا إخواني

أعني فلسطيناً وكيف أمينها/ وجنودها وبقية السكان بعد الكفاح وبعد ما بَثَّ اليهود/ شرورهم فيها بكل مكان

وفي الثلاثينيات أيضا، قال الشاعر صقر الشبيب:

بني يعرب من فاته أمس سله/ حساما عن قومه يحسن الذبا

فما فاته أن تمنح اليوم كفه/ فلسطين ما يمحو به ذلك الذنبا

فجودوا بكثر المال والقل واذكروا/ هنالك أرحام العروبة والقربى

وغير كثير من القصائد الأخرى التي تضاعف عددها مرّاتٍ كثيرة بعد النكبة، فلا يكاد يوجد شاعر كويتي، يكتب بالعربية الفصيحة أم بالعامية المحكية أو النبطية، تجاهل القضية الفلسطينية في ما كتب. بل تغلغلت تلك القضية في الوجدان الكويتي وتفاصيل يومياته، ما يجعلنا نؤكّد على أهمية توثيق التاريخ الشعري، بل الثقافي عموما للقضية في وجدان الشعوب العربية، وخصوصا الخليجية، ما دام الخليج أصبح هذه الأيام من مصادر سيول التطبيع!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**